★ العربية الدارجة في القطر الجزائري

الدكتور ابراهيم السامرائي

لعل من أعظم المنجزات أو قل الامور المعجزات عملية التعريب في الجمهورية الجزائرية ، وذلك لان العربية بعثت جديدة غضة تقف من الفرنسية موقف المقاوم العنيد • لقد مكّن الحكم الاستعماري الذي

(*) كان العنوان الذي وضعه الاستاذ السامرائي لمقاله هو : « العربية في القطر الجزائري » •

ثم آثرت لجنة المجلة أن تضيف اليه هذا الوصف : « العربية الدارجة » ذلك لان الكاتب الفاضل انما يسوق أمثلته كلها من هذه العربية اليومية المستعملة عند جمهرة الناس ، على الالسنة أو على أقلام بعض الذين يمارسون الصحافة •

وهذه الامثلة ونظائرها مما تشترك فيه أكثر الاقطار العربية الاخرى ، كما يشير الى ذلك المقال في مواضع عدة ، ولذلك لا يمكن أن تكون سمة خاصة بالعربية في الجزائر •

ومع ذلك فقد أقرت اللجنة نشر المقال لانه لون من ألوان التنبه الى ما يغزو العربية في هذا القطر أو ذاك من طغيان اللهجات وتسربها الى الفصحى، أو من لوثة الترجمات ، أو من تسرب الالفاظ والتعابير الاجنبية ••• ولانه يطرح موضوع المجازات الحديثة ويدفع الى التساؤل عما نرفض أو نقبل منها • ومن المؤكد أن الاستاذ السامرائي ، بما هو معروف عنه من غيرته على العربية وحبه للجزائر ، انما يسجل هذه الظواهر والاستخدامات اللغوية تمهيدا لدراستها والعمل على تنقية العربية مما هو خاطىء منها •

أما القسم الاخير من المقال الذي يتضمن أمثلة مما احتفظت به العامية في الجزائر من الفصيح فهو أوسع من أن تكون هذه الامثلة تعريفا به ، ولا بد فيه من جمع مستوعب يتجاوز المدن الساحلية الى الداخل والى البوادي •

« لجنة المجلة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كُتب له أن يعمر أكثر من قرن وربع من السنين المظلمة العجاف ، للفرنسية فجعلها لغة البلاد عملا وتعليماً وسائر وجوه الإعراب .

لقد انتهى ذلك العصر واضطلع أهـل البلد بمصيرهم ووجدوا أن الواجب الاول هو أن تعود الهوية العربية فكان التعريب وعادت اللغة . ومن المعلوم أن اللغة تتأثر بالبيئة ، ومن هنا تظهر اللهجات ، وذلك باتصاف كل لغة بطرائق خاصة من المشكلات الصوتية الى أخرى صرفية ثم تتجاوز ذلك الى طرائق في الاستعمال . وعلى هذا كان لدينا لهجات عربية بل قل لغات اذا ما أخذنا بما يفرضه علم اللغة الحديث.

ومن الضروري أن أشير الى أن العربية في الجزائر ومثلها الى حد ما في تونس والمغرب قد اكتسبت صفات خاصة تميزها عن العربية في سائر أقطار المشرق . على أن العربية في هذه الاقاليم المغربية تختلف من قطـر الى قطر . وهي في كل منها ذات لون خاص وان كان شيء من عموميـة يجمع بينها . قد تقول ان في الفصيحة العربية شيئاً من الجزائر ، ولعلي أستعمل مصطلح الجزائريين فأقول : إن فيها شيئاً من « الجزأرة » .

إن « الجزأرة » هذه من مولدات الاخوان الجزائريين فهم يستعملونها في صحفهم وكتاباتهم فيقولون :

(١) ـ جزأرة الإطارات كما قرأت ذلك في صحيفة الشعب الجزائرية في الخامس من أبريل ١٩٧٩ ، وكأنهم يقابلون بهذه « الجزأرة » ما يولده الفرنسيون مـن أسماء البلاد وأسماء الاعيـان فيقولون Arabiser و Algeriser وغيرهما أي صيَّر الشيء وجعله عربياً أو جزائرياً . ومثل هذا يقول التونسيون « تونسة الإطارات » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحديث « الإطارات » حديث ممتع غريب ، فهو من باب نقل المجاز من لغة الى أخرى • ان كلمة «الإطار» تقابل في الفرنسية « Le Cadre » والإطار عند الفرنسيين من الكلمات التي تستعمل على حقيقتها كما تستعمل مجازاً ، فهي على الحقيقة « الإطار » المعروف الذي تحاط به الصور والجداول ونحوها ، وهو الشكل المربع أو المستطيل المصنوع من الخشب أو غيره كما هو معروف • وهي على المجاز مجموع الافراد فنيين وغير فنيين ، ممن يعملون في مشروع أو معمل أو ادارة حكومية أو غيرها•

غير أن «الإطار» في العربية لاينصرف إلا الى معناه الحقيقي المستخدم للصور والجداول ونحوها • وهذا يعني أن صرفه الى هذا المجاز الجديد تأثر بالفرنسية ليس غير •

ومن شيوع استعمال « الإطارات » في أقاليم الشمال الافريقي تأثر بها المشارقة فصرنا نقرؤها قليلا في صحفنا المشرقية • وكأن المشارقة قد واجهوا الكلمة في اللغات الاوربية فلم يفزعوا الى « الإطارات » بل راحوا يعربون الكلمة الاعجمية فجمعوها على « كوادر » كما في كتابات طائفة من اللبنانيين •

ومن العجيب أن المغاربة عامة يميلون الى الجمع الصحيح المؤنث أكثر من ميلهم الى الجمع المكسَّر فيقولون « إطارات » ولا يقولون « أُطُر » ويقولون « دينارات » ولا يقولون « دنانير » وان تجاوز المراد القلة العددية المعروفة ، وسنرى ذلك•

(٢) ــ واقرأ في الصحيفة نفسها :

وعلى هذه القاعدة نجد شركاتنا الوطنية « الفالسة » عن قناعة منها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن مسؤوليها ومصالح محاسباتها « تحشم » من أن تعلن للشعب عن هذا الافلاس لأنها .....

أقول : من غير شك إن أهل الصحف لا يميِّزون بين « الفالسة » و « المفلسة » . ولم يعرفوا أن الفصيح المستعمل هو الرباعي « أفلس » وان الهمزة في هـذا الرباعي تفيد السلب نظـير « وعد » و « أوعد » و « عتب » و « أعتب » ومثل هذا كثير في العربية . وعلى هذا لا يصح أن نقول «فالسة» لعدم توفر المعنى وهو السلب أي عدم وجود«الفلوس» ومن غير شك ان الثلاثي لم يستعمل بهذا المعنى والصواب هو الرباعي « أفلس » .

ثم جاء في هذا الكلام المنقول من الصحيفة : نجد شركاتنا الوطنية الفالسة .... « تحشم » من أن تعلن ...

أقول : ان الفعل « حشم » من الكلم العامي الدارج . وكأن صاحب المقالة في الصحيفة أراد : ان الشركات ... تخجل من أن تعلن للشعب عن هذا الافلاس .

(٣) ــ ونستمر في النقل عن الصحيفة فنجد الكاتب يمضي فيقول:
إن الشركات وجدت باباً جديداً يغطي هذا الافلاس ...

أقول : ان قول الكاتب : « يغطي هذا الافلاس » من الاساليـب المترجمة التي شـاعت في لغة الصحف ولغة أهل البحـوث الاقتصادية والاجتماعية في كثير من البلاد العربية . وكلمة « يغطي » هذه ترجمة لكلمة Couvrir الفرنسية في تعبير الجزائريين وغيرهم من المغاربة . وقد تكون ترجمة لكلمة Cover الانكليزية في لغة المشارقة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٤) ــ وجاء في جريدة الشعب المؤرخة في ٧ ابريل ١٩٧٩ في رد رئيس المجلس الشعبي لبلدية قصر البخاري على رسالة مواطن قوله :

إني لم ألبِّ كل طلبات سكان البلدية في العمل خاصة ذوي الاولوية من مجاهدين و « مسبّلين » وغيرهم .

أقول : إن كلمة « مُسبّلين » من المصطلح الجزائري الذي يتصل بأيام الثورة . وهي تعني جماعة خاصة ليست من المجاهدين حملة السلاح وانما تهتم بجمع المعلومات عن العدو ومعرفة وجوده والالمام بما يقوم به من أعمال وخطط ، وتسليم جميع هذه الفوائد الى العناصر الوطنية المسؤولة عن الثورة . ومن غير شك ان الكلمة ولّدت من كلمة«سبيل» لإفادة هذا المعنى الخاص .

ويحضرني في هذا الصدد ما أعرفه عن هذه الكلمة في العربية العراقية الدارجة ذلك أن طائفة كانت تحمل الماء في أوعية لتوزعه على أبناء السبيل العطاشى فكان كل أجرهم من هذا العمل أن يأتي أحد المحسنين ويهبهم مبلغاً ضئيلا من المال كفاء ما يقومون به من عمل في توزيع الماء . وفي هذه الحال ينادي حامل الماء على من « يسبِّل » له أي المحسن الذي يهبه الاجر ليقوم بالعمل . كان هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة أما الآن فلم يبق شيء من هذا الرسم القديم .

(٥) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« وأكّد المحافظ الوطني للحزب في تدخّله على ضرورة العمل » .

أقول : من غير شك إن تعدية الفعل « أكّد » بحرف الجر « على » من التأثر باللغة الاجنبية . وليس هذا التجاوز خاصاً بالجزائر ، فهو شيء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جارٍ في ترسل كثير مسن يكتبون في الصحف اليومية في أقاليم مختلفة •

وجاء أيضافي المنقول عن الصحيفة نفسها: « أكّد ••• في تدخّله•»

أقول : إن كلمة « التدخل » تفيد معنى الخطاب أو الخطبة • أي ان المحافظ « أكّد في خطبته أو خطابه » • وهذا من غيرشك مأخوذ من Intervention • ان الكلمة الفرنسية المشـــار إليها تعني « التدخل » أو «الدخول» بالمعنى الحقيقي،وهي من الفعل Intervenir أي دخل وتدخّل •غير أن الكلمة الفرنسية تعني أيضاً « الخطاب » الذي يتوجه به أحد المتكلمين في اجتماع من الاجتماعات ، فكأنه يدخل بخطابه أو يتدخل به بين جماعة المتحدثين في ذلك الاجتماع •

وهذا من باب نقل المجاز الاجنبي الى العربية التي لم تألف هذا المجاز ، ولم يرد في الاستعمال على هذا النحو •

(٦) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« وسيتميّز هذا الملتقى بتقديم عدة عروض تتمحور حول التحرير والاسلام » •

أقول : لقد صاغ بل ولّد الكاتب الجزائري الفعل « تمحور » من الاسم « مِحور » أي ان العروض تدور حول حرب التحرير والاسلام•

ومن غير شك ان ما دفع الكاتب الجزائري الى هذا التوليد هو عامل الترجمة أي ان الكلمة الاجنبية قد عرفها ووجدت في معجمه فكيف يكون المقابل لها في العربية فكان الفعل « تمحور » المقابل لـ « Axer » الفرنسي•ومن الملاحظ أن الفعل الفرنسي يتعدى بـ Sur التي تترجم بـ«على»•

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهكذا كانت الاصول الاجنبية مادة كبيرة لاستعمالات عربية معاصرة.

(٧) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« أشرفت التحضيرات الجارية بولاية الاصنام لتجديد هياكل « التسيير » بالوحدات الفلاحية .... ».

أقول : إن القارىء العربي في المشرق ليقرأ طائفة من الاستعمالات العربية في الجزائر فلا يهتدي اليها إلا بعد السؤال . إن «التسيير» المثبَّت في العبارة المنقولة من الصحيفة يشير الى نوع مما يسمى بـ « التنفيذ الذاتي المباشر » وذلك أن الدولة قد تنفذ عن طريق سلطاتها التابعة لها مشروعاً خاصاً دون أن تجعله على ذمة شركة من الشركات . وعلى هذا يكون « التسيير » من الكلم الفني الجزائري.

ويتضح هذا في قولهم : « ومن بين الاجراءات التي اتُّخِذت في صالح القطاع الاشتراكي (المَزارع المسيَّرة ذاتياً) انطلاق حملة التطهير التي تمحورت أساساً على النقاط .... ».

(٨) ــ ونقرأ في الصحيفة نفسها :

« وقد جرت المعارك في شرق كسالا « أين » يوجد الطريق المؤدي الى جينجا » .

أقول : لا بد أن نقف على استعمال « أين » هذه فنشير الى أنه استعمال خاطىء وذلك لأن « أين » من أسماء الاستفهام ومن الالفاظ التي لها الصدارة في الكلام ، في حين أنها جاءت في كلام الصحيفة ظرفاً كان ينبغي أن يكون في مكانها « حيث » لإفادة المكان . وقد جاءت في حشو الجملة ، وهي استفهام ليس غير ، حقها أن تكون صدراً.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن غير شك ان سبب هذه التجاوزات هو أن الكاتب الجزائري وجد الظرف « Où » في الفرنسية يكون ظرفاً بمعنى حيث في حشو الجملة ويكون اسم استفهام تصدر به جملة الاستفهام فخلط بين الاثنين وجعل المقابل لهما « أين » في العربية فكان ما كان .

(٩) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« لذا فإن « الإمضاء » على معاهدة السلام .... » .

وفيها : « وذلك شاهد على سوء نيّة «الممضين» على هذا الحلف» .

أقول : إن « الإمضاء » و « الممضين » في الصحيفة الجزائرية بمعنى ما يستعمل في الصحف المشرقية « التوقيع » و « الموقّعين » .

نعم إن هذا وذاك من الاستعمالات الحديثة وذلك لان العربية القديمة لاتعرف « الإمضاء » ولا « التوقيع » بهذا المعنى . غير أني سجّلت هذه الملاحظة لأشير الى أنها استعمال جزائري .

(١٠) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« ان القرارات المتخذة « من طرف » منظمة الامم المتحدة لم يراعَ فيها ... » .

أقول : إن استعمال الجزائريين خاصة والمغاربة عامة لعبارة « من طرف » ماكان ليكون إلا مقابلا بل ترجمة للاستعمال الفرنسي « de la part »

(١١) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« استدعاء العسكريين المتربصين في أمريكا » .

أقول : لا نعرف « تربّص » و « المتربّص » بمعنى التدريب والتعلم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمتدرّب والمتعلّم إلا في الصحافة الجزائرية التي لا بـد أن تكون قد أخذتها من الاستعمال التونسي أو المغربي • ومن غير شك إن « التربّص » قد جعله التوانسة مقابلا للكلمة الفرنسية « Stage » ، والمتربّص مـن يؤدي هذا التدريب والامتحـان • أما نحن المشارقة فنعبر عن هذا بأن « العامل » أو « الفني » يقضي « دورة تدريبية » •

(١٢) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« قررت وزارة الدفاع الامريكية استدعاء ١٨٠٠ إطار بحـري وإطارات أخرى »•

أقول : رأيت أن أعود الى لفظ « الإطار » الذي أسلفت الكلام عليه وذلك لان هذا الاستعمال الاخير أفرد كلمة « إطار » ــ ولم ترد جمعاً على النحو الاول ــ لتعني Les Cadres وهذا يعني أن « الإطار » مفرداً يعني أحد العناصر الفنية التي يُحتاجُ إليها في الدائرة والمصنع أو في أي مكان آخر •

(١٣) ــ وجاء في الصحيفة نفسها : « ازدياد »•

بمزيد من الفرح والسرور ينهي فلان بن فلان الى علمكم عن «ازدياد» الطفل الوسيم « ياسين ببيت السيد والسيدة العيدي حسين ••• »•

أقول : ولا تعرف العربية أن« الازدياد » يعني الولادة أو المولد أو الميلاد • ان الخبر في الصحيفة ينبىء أن فلاناً رُزِق ولداً ، أو ولدت زوجة فلان ولداً أسمته « ياسين » ، فأين « الازدياد » من الولادة ؟![1]

العلاقة بين هـذا وذاك أن كلمـة « Naitre » أو Naissance التي تعني ولادة ، قد تفيد الزيادة والنماء في شيء من استعمالاتها • غير

(١) يحسن أن نتذكر هنا الآية الكريمة : « وما تغيض الارحام وما تزداد » • «لجنة المجلة»

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن هذا لايسوغ أن تكون « الولادة » « ازدياداً » • إن هـذا من عبث الترجمة الرديئة •

(١٤) ــ وتقرأ كل يوم في الصحف الجزائرية أخباراً عن مصـالح الإسكان وأنها معنية بتهيئة « سكنات » ملائمة لذوي الدخل المحدود •

أقول : ان « السكنات » تعني « المساكن » وان الجزائريين يستعملون الجمع المؤنّث السالم من غير حساب لما يدل عليه من أدنى العدد • وهكذا نجد دينارات ، والبناءات المدرسية وسكنات وغير هذا كثير • وقد تسمع الناس يتحدثون بعاميتهم الدارجة فيجمعون الكلمة الفرنسية جمع مؤنث فيقولون « بلاسات » ويريدون بها جمع Place أي مكان أو محل أو بقعـة •

(١٥) ــ وتدخل في مخزن كبير من المخازن الكبرى في مدينةالجزائر فتقرأ في لوح معلّق :

« زوروا أشعتنا » •

أقول : لا تفهم أيها القارىء أول مرة ما المقصود بالعبارة المكتوبة في اللوح • ما المراد بـ « الأشعة » ؟ وكيف تزار هذه « الأشعة » ؟

وبعد النظر تجد أن الترجمة الفاسدة لكلمة « Rayon » الفرنسية قد أدّت الى هذه الرطانة •

ان الكلمة الفرنسية تعني « الشعاع » شعاع الشمس أو الكواكب الاخرى ، كمـا تعني أيضاً جزءاً أو جهة من مخـزن صُفّت فيه مناضد للبضاعة ، وكل مجموعة من هذه المناضد خاصة بصنف معين منها ، ويطلق على كل مجموعة من هذه : « Rayon »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هـذا هو مجمـل الامر ، ولكن المترجم أخطأه الصـواب فأخذ كلمة شعاع مقابلا هـذه الكلمة الفرنسية وأطلقه على مجموعة المناضـد الحاملة للبضاعة في مخزنه الجزائري ، فكانت النتيجة هذا العبث الجديد.

تعـريب المحيـط

لقد أشرت الى أن الجزائريين قد حققوا معجزة كبيرة في عملية التعريب، فلم يقتصروا على التعليم وعلى الكتاب المدرسي وغيره وانما تجاوزوا ذلك الى المحيط العام . ان تعريب المحيط يعني انك لا تجد لوحاً أو لافتة في الجزائر كلها بغير العربية ، وبالعربية وحدها ، وهذا شيء كبير.

وانك لتجد أشياء جميلة كأن تقرأ لوحاً مكتوباً عليـه « حمّام ـ مِرَشّ » أي أن الكلمة الاخيرة تقابل « Douche » الفرنسية . وانّك تقرأ لوحاً معلقاً على دكان للحلاقة كلمة « مزيّن » . وهذه الكلمة التـي هجرها المشارقة أنسب من الحلاّق والحلاقة .

ولقد قضى تعريب المحيط على أنماط كثيرة من التعابير الاعجمية التي استبدل بها الكلم العربي الفصيح .

نعم قد تكون بعض العبارات العربية التي تنشر في المحيط غير ملائمة وذلك بسبب الترجمة الحرفية ، كأن تقرأ في مخزن ما : « آخر صرخة ». يريدون بها آخر صنف من البضاعة الجديدة وهي ترجمة لـ Dernier Cri

ومن السارّ أنك تقرأ عبارة «الأروقة الجزائرية» لتقابل Les galeries والمراد بها المخازن الكبرى للبضائع المختلفة .

نمـاذج أخـرى

اذا كنّا نقف في لغة الجزائريين على الجديد الذي يبتعد عن الفصيح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القديم[١] فلا بدّ لنا أن نستدرك فنقول إن العامية الجزائرية قد احتفظت بمواد فصيحة لانعرفها نحن المشارقة ولا نجدها إلا في بطون المعجمات.

ومن ذلك : نَوء : ويعني المطر .

عقَبة : مرتفَع .

سُوَيقة : تصغير سوق . ومن المعلوم أن هذا جار على الفصيح المشهور من أن تصغير المؤنث غير المختوم بتاء التأنيث تردّ له تاؤه في مصغَّره مثل أُذُن وأُذَينة وعَين وعُيَيْنة وكذا سوق وسويقة.

دُوَيْرة : الدار الصغيرة .

عِجار : العجار ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ثم تَجلبب فوقه بجلبابها . ومثله المِعجَر .

الثنيّة : الطريق المعطوف أو عطفة الطريق.

جِروات : جمع جرو وهو ضرب من القَرَع . جاء في كتب اللغة:

الجِروُ والجِروة الصغير من كل شيء حتى من الحنظل والبطيخ والقثّاء والرمان والخيار والباذنجان .

جايحة : مايصيب الزرع من آفات أو وباء . والجائحة في فصيح

---

(١) يقول الجزائريون: «قارورات الغاز» للاسطوانات المعبأة بالغاز المستخدم وقودا . ومن المعلوم أن «القارورة» واحدة القوارير من الزجاج، والعرب تسمي المرأة القارورة وتكني عنها بها . وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى : « قواريرا قوارير من فضة » معناه أواني زجاج في بياض الفضة وصفاء القوارير . قال ابن سيده : وهذا حسن .
غير أن الجزائريين استعاروا القارورة لأسطوانة الغاز ، وهو جديد قائم على التصور الخاطىء . ثم انهم جمعوها جمعا مؤنثا سالما كما هو المألوف عندهم ولم يفطنوا للجمع في الآية الكريمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العربية الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة.والجائحة آفة تجتاح الثمر أيضاً وهذا هو الاستعمال الجزائري .

جايح : هو السفيه عندهم ، لعلها على التشبيه بالجائحة أي النازلة والآفة .

فايح : هو السفيه أيضاً وقد تكون من باب الاتباع : جايح فايح.

عتاد : العتاد العدّة والجمع أعتدة وعُتُد . قال الليث : والعتاد الشيء الذي تعدّه لأمر ما وتهيّئه له . وأعتدَ الشيءَ أعدّه . قال تعالى : « وأعْتَدَتْ لهنَّ مُتَّكَأً » .

ومن المفيد أن أشير الى أن « العتاد » في لغة المشارقة المعاصرة اقتصر على السلاح دون غيره في حين أن الكلمة احتفظت بمعناها الاصيل في القطر الجزائري .

عَوْد : العَوْد عند الجزائريين هو الحصان في حين أن معناه في كتب اللغة الجمل المُسِنّ وفيه بقيّة .

هيّا : بمعنى تعال . ينادي الجزائري مثلا ولده الصغير فيقول : هيّا.

خاتمة :

هذه فوائد يسيرة تهيّأت لي خلال اقامة قصيرة في القطر الجزائري رأيت من المفيد أن أشير اليها للفائدة التاريخية في فهم واقع لغتنا المعاصرة .

بغداد ـ كلية الآداب **ابراهيم السامرائي**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net